



اعرف عدوك

قصة سقوط إبليس
وعداوته

القس أغسطينوس حنا



هل للمسيحيين أعداء؟

لكي نجيب على هذا السؤال يلزم أن نَفرق بين نوعين من الأعداء. النوع الأول هو الشياطين والنوع الثانى هو أتباع الشياطين من البشر. وهذا ما نعبّر عنه فى صلاة الشكر بقولنا "كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان ومؤامرة الناس الأشرار وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين، إنزعاها عنا".

فالأعداء الخفيين هم الشياطين والأعداء الظاهريين هم أتباعهم المعبر عنهم "بالناس الأشرار". والعداء بالنسبة لهذا النوع الأخير أى البشرى المفروض انه يأتى من جانبهم، فهو من طرف واحد لأن الانسان المسيحى لا يخاصم ولا يكره ولا يحقد ولا ينتقم ولا يعادى وإنما يحب أعداءه ويبارك لاعنيه ويحسن الى مبغضيه ويصلى لمن يسيء إليه ويضطهده (أتى ٢ : ٢٤ ، مت ٥ : ٤٤).

وأما عداوة الشيطان فقد بدأت منذ سقوطه وتمرده ضد الله، وبدأت ضد الانسان منذ حسده للانسان واستخدامه للحية فى إسقاط الانسان بجنة عدن. وجاء حكم الله على الحية باللعنة وقوله لها "وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه" (تك ٣ : ١٥). ومن هنا دعى الشيطان بـ "الحية القديمة والتنين العظيم المدعو ابليس والشيطان الذى يضل العالم كله" (رؤ ١٢ : ٩ ، ٢٠ : ٢). وأصبح اسم الشيطان والحية مترادفين كما فى قول السيد المسيح "رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء. وها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوّة العدو ولا يضركم شئ" (لو ١٠ : ١٨).

وعن هذه العداوة بين الشيطان والانسان يقول الرسول بطرس "إصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتصقاً من يتلعه هو" (ابطه ٥ : ٨). ويقول الرسول بولس "إلبسوا سلاح الله الكامل لكي تقفروا أن تثبتوا ضد مكاييد ابليس. فإن مصارعنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات" (أف ٦ : ١٠-١٢).

ولكن ليس الشيطان هو العدو الروحى الوحيد للمسيحى وإنما هناك أعداء آخرون يتحالفون معه مثل العالم بشهوته الثلاثية "شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة" (ايوا ٢ : ١٥). ومثل جسد الانسان إن لم يتقدس بروح الله ويصير هيكلاً له ويخضع للروح. "أن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر ... وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط خرب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر وأمثال هذه الذين يفعلونها لا يرثون ملكوت الله" (غل ٥ : ١٧-٢١).

ولا شك أن معرفة عدونا اللدود الرئيسى الذى هو ابليس أو الشيطان - أو أى عدو آخر عموماً - يساعدنا على الإحتراس منه والأنتصار عليه. فاننا يجب أن نعرف طبيعته وصفاته وأفكاره وأعماله وأسلحته وحرابه وتجاربه وطرقه.

ولذلك يحسن أن نعرف قصة الشيطان من بدايتها وماذا يقول الكتاب المقدس عنها.. وهذه هي أهم عشرة شواهد منها:

قصة سقوط ابليس :

١- يقول الوحي الألهى على لسان أشعيا النبي فى هجو ملك بابل الشرير الذى كان كناية عن الشيطان فى كبريائه وقسوته وطمعه " كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح. كيف قطعت الى الأرض يا قاهر الأمم. وأنت قلت فى قلبك أصعد الى السموات أرفع كرسي فوق كواكب الله ... أصعد فوق مرتفعات السحاب أصير مثل العلى. لكنك إنحدرت الى الهاوية ..." (أش ١٤ : ١٢-١٥).

٢- ويقدم الوحي تفاصيل أكثر فى سفر حزقيال النبي بقوله: " هكذا قال السيد الرب أنت خاتم الكمال ملآن حكمة وكامل الجمال. كنت فى عدن جنة الله. كل حجر كريم ستارتك عقيق أحمر وياقوت أصفر وعقيق أبيض وزبرجد وجزع ويشب وياقوت أزرق وبهرمان وزمرّد وذهب ... أنت الكروب المنبسط المظلل وأقمتك على جبل الله المقدس كنت. بين حجارة النار تمشيت. أنت كامل فى طرفك من يوم خلقت حتى وجد فيك إثم ... فأطرحك من جبل الله وأيدك أيها الكروب المظلل ... قد أرتفع قلبك لبهجتك. أفسدت حكمتك لأجل بهائك. سأطرحك الى الأرض ... قد جحست مقادسك بكثرة آثامك فأخرج ناراً من وسطك فتأكلك وأصيرك رماداً على الأرض ... وتكون أهوالاً ولا توجد بعد الى الأبد" (حز ٢٨ : ١٢-١٩).

٣- وفى الجليل متى جُد ابليس يُجرب السيد المسيح أثناء صومه الأربعينى بثلاث تجارب موضوعها الخبز والمجد الباطل وتعظم المعيشة. وقد انتصر المسيح عليه وهزمه برفض تجاربه وأرانا أسلحة النصر الروحية الأساسية وهى كلمة الله والصوم والصلاة (مت ٤ ، لو ٤). ورأينا السيد المسيح يخرج الشياطين ويطردهم من المرضى كما أخبرنا فى متى ٢٥ : ٤١ " انه فى اليوم الأخير سيرسل الأشرار الى النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته".

٤- وفى الجليل لوقا يخبرنا رب المجد " رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء" (لو ١٠ : ١٨). قارن هذا مع أشعيا ١٤ : ١٢ فى قوله " كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح"

٥- وفى الجليل يوحنا يقول رب المجد وهو يوبخ اليهود على شرورهم وإفخارهم بأنهم أولاد ابراهيم بقوله: " أنتم من أب هو أبلليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فأنما يتكلم بما له لأنه كذاب وابو الكذاب" (يو ٨ : ٤٤).

٦- ويقول الرسول بطرس " ان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وسلّمهم محروسين للقضاء ..." (١ بط ٢ : ٤).

٧- ويقول يهوذا الرسول: " والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا

مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام» (يه٦).

٨- ويقول الرسول يوحنا الحبيب في سفر الرؤيا: «وحدثت حرب في السماء. ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو ابليس والشيطان الذي يضل العالم كله طرَح الى الأرض وطرحت معه ملائكته» (رؤ١٢ : ٧-٩).

٩- ويقول أيضاً الرسول يوحنا «ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو ابليس والشيطان وقيدته ألف سنة. وطرحة في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه...» (رؤ٢٠ : ٣-١).

١٠- وأخر ذكر للشيطان في سفر الرؤيا يحدثنا عن نهاية ابليس يقول: «وابليس الذي كان يضلهم طرَح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبى الكذاب. وسيعذبون نهاراً وليلاً الى أبد الأبدين» (رؤ٢٠ : ١٠).

أسماء الشيطان في الكتاب المقدس

- ١- العدو (مت ١٣ : ٣٩)
- ٢- الشيرير (مت ١٣ : ١٩ ، يو٢ : ١٣ ، ٥ : ١٨).
- ٣- بعليزبول رئيس الشياطين ومعناه الحرفى اله المزابل (مت ١٢ : ٢٤).
- ٤- القتال
- ٥- الكذاب (يو٨ : ٤٤).
- ٦- رئيس هذا العالم (يو١٢ : ٣١ ، ١٤ : ٣٠).
- ٧- آله هذا العالم (٢كو٤ : ٤).
- ٨- رئيس سلطان الهواء (أف٢ : ٢).
- ٩- رئيس الظلام (أف٦ : ١٢).
- ١٠- المجرَّب (١تس٣ : ٥).
- ١١- ملك الموت (عب٢ : ١٤).
- ١٢- الأسد الزائر المفترس للمؤمنين (بط٥ : ٨).
- ١٣- الخنصم (١بط٥ : ٨).
- ١٤- ملاك الهاوية، الجب الذي لا قرار له (رؤ٩ : ١).
- ١٥- أبدوَن وهى كلمة عبرية معناها خراب (رؤ٩ : ١١).
- ١٦- أبوليون وهى كلمة يونانية معناها المدمر(رؤ٩ : ١).
- ١٧- التنين (رؤ١٢ : ٧).

١٨- المشتكى زوراً على اخوتنا نهاراً وليلاً (رؤ٢).

١٩- الحية القديمة (رؤ٢٠ : ٢).

٢٠- المّضل والمّخادع (رؤ٢٠ : ١٠).

٢١- ابليس (مت٤ : ١٣ : ٣٩ ، ٢٥ : ٤١ ، يوح٨٤ : ٤٤).

٢٢- الشيطان ومعناه المعاند والمقاوم (زك٣ : ٢).

٢٣- لوسيفر أو زهرة بنت الصبح أو كوكب الزهرة وهو أسم الشيطان قبل السقوط (أش ١٤ : ١٢).

٢٤- جئنون (فرقة من الشياطين) (مر٥ : ٩).

٢٥- بليعال وهو اسم عبرى معناه «عديم الفائدة» أو مؤذى ولئيم وخبث وشريير (أكو١٥ : ١٥ ، اصم٢ : ١٢).

صفات الشيطان عدونا اللدود

١- انه عدو خفى غير منظور: باعتبار أن الشيطان ملاك ساقط فهو روح ليس له جسد ويقول الكتاب «الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار» (عب١ : ٧ ، مز٤٤ : ١٠).

٢- عدو ومحارب خطير لا يهدأ ولا يتوقف:

منذ سقوطه لم يكف عن الحرب والقتال مع جميع البشر ولا سيما الأقوياء والأنبياء والرسل والقديسين والرهبان وأولاد الله عموماً الذين يحاربونه ويقاوموه بإسلحة الايمان ووسائط النعمة

٣- انه عدو قوى جبّار وشرس:

عندما سقط فقد قداسته ونقاوته ولكنه لم يفقد قوته. استطاع أن يضلّ العالم كله ويملاه شرّاً وظلماً وفساداً من أيام الطوفان حتى تسبّب في هلاكه ودماره. بل وحتى الآن. واستطاع أن ينشر الوثنية في العالم، ويجعل اليهود عندما تأخر موسى أربعين يوماً في الجبل يكفرون ويعبدون العجل الذهبى، بل وأسس ديناً كاملاً يتبعه الملايين ينكرون صليب المسيح ولاهوته وأنجيله ويضطهدون شعبه وينشرون أشرّ الجرائم والأرهاب في جميع بلاد العالم. أنظر الى السجون والمستشفيات والملاهى الليلية ترى بصماته. بل وحتى البلاد المسيحية صير ديانتها شكلية اسمية.

٤- انه عدو ذكى وماكر وخبث جداً: سُمى بالحية لالتوائه ومكره وخبثه وهو «يغير شكله الى شبه ملاك نور» (أكو١١ : ١٤). كما انه يُغير خططه حسب الظروف وما أكثر حيله ومصائده وأخطر غشه.

٥- انه كذّاب وأبو كل كذاب (يو٨ : ٤٤): كذب عندما قال لحواء «لن تموت» وكذب عندما قال «تصيران كالله» (تك٣). انه يكذب فى الأحلام والرؤى. كذب مرة على

راهب قديس عندما ظهر له وقال له: «انا الملاك جبرائيل أرسلت اليك» فقال له «انا رجل خاطئ لا أستحق. لعلك أرسلت لغيري» فاحترق الشيطان واختفى بسبب اتضاع الراهب. ويظهر كذبه وغشه وخداعه ايضاً على لسان السحرة والعرافين والمنجمين. ولذلك يحذر الكتاب من السحر وتخضير الأرواح واستشارة الموتى وسؤال الجان (تث ١٨ : ٩ - أع ١٩ : ١٩).

انه يكذب على ضحاياه المنتحرين ويصوّر لهم انهم سيستريحون من متاعبهم وآلامهم ويأسهم فاذا بهم يجدون انفسهم فى جهنم (مالم يكونوا مرضى). انه يقنع اللص بأن لا أحد يراه. ويكذب على الزانى بانه من الحكمة أن يجرب كل شئ. ويكذب على القاتل المجرم بأنه يدافع عن الدين أو يقتل المشركين أو يغسل العار ويدافع عن الشرف ... ويكذب على التائب بعدم وجود الله أو انه جدّف على الروح القدس وليس له غفران. ومن أخطر أكاذيبه وحيله تأجيل التوبة حتى ينتهى العمر فجأة ويهلك الإنسان!

٦- انه عدو مثابر لا يفشل ولا يخجل ولا ييأس: حارب قديساً بخطية واحدة لمدة خمسين سنة! وعندما جرّب المسيح وإنهزم يقول الكتاب «وتركه الى حين» (مت ٤). وسوف يظل يحارب كل منا الى النفس الأخير والذي يصبر الى المنهى فهذا يخلص» (مر ١٣ : ١٣).

٧- انه المشتكى والمدعى العام (رؤ ١٢ : ١١): اشتكى ضد أيوب وقال للرب «أليس لأنك سيّجت حوله ... خذ ثروته وأولاده وصحته يجدف عليك فى وجهك» (أى ١ : ١٠).

٨- انه جزار قاسى متوحش يقتلك كمن يدوس على نملة ويسحقها. انظر ماذا فعل بمجنون كورة الجديريين. أفقده عقله وعزّاه من ثيابه وأسكنه القبور مثل الموتى وجعله يقطع السلاسل ويجرح نفسه بالحجارة ويصرخ ليلاً ونهاراً حتى قابل المسيح فنشفاه. وانظر فى الحروب كيف يحصد أرواح ملايين البشر.

٩- انه حسود وحقود وخائن وغدار لا صديق له، وبعد أن يربطك بسلاسل إدمان الدخان والشيشة والخدرات والقمار والجنس وأفلام الزنى القذرة وعشترات الخطايا والعادات الشريرة ويُهلك روحك - يُخرج لك لسانه ويسخر منك.

أسرع الى المخلص العظيم

ولكن مهما كان الشيطان قوياً فالمسيح أقوى وأعظم. ومهما كان ذكياً فالمسيح أذكى وأحكم. ولذلك قال رب المجد «ولكن متى جاء من هو اقوى منه فانه يُقيده ويوزع غنائمه» ويقول سفر الرؤيا «هم غلبوه بدم الخروف وكلمة شهادتهم ...» رؤ ١٢ : ١١). أسرع الى المسيح فيخلصك منه ويحركك ويبررك وينصرك ويسحق الشيطان تحت قدميك سريعاً (رؤ ١٦ : ٢٠).

St. John Coptic Orthodox Church Covina, California

Tel. (909) 592-8847 - (562) 900-2695

Email: frhanna@mystjohn.org - Website: www.mystjohn.org